أصبحت سيطرتها على شعره قوية. فحلت في كثير من الأحيان محل المطلع الغزلي في شعر غيره ، حتى إذا جاء الإسلام وجدت في القصيدة أو الأرجوزة موضعها الصحيح دون تردد . ولعلي أقدر هنا أن « لبيداً » عاد على بعض قصائده الجاهلية بشيء من الزيادة والتحوير بعد أن أسلم فكبر العناصر الدينية ووسع منها . ولكني لست أريد بهذا لأقلل من قوة الشعور الديني عنده قبل الإسلام ... وعلينا أن نفرق بين الروح الدينية في قصائده الجاهلية والقصائد التي قالها في الإسلام فلا ننسب كل تدين عند « لبيد » إلى عهد الجاهلية » .

ويقول : « وهذا يكفي ليثبت أن كف لبيد عن قول الشعر إنما كان إجبالا أحدثته الشيخوخة »[1] .

وبعد ، فليست قصة « لبيد » على ما تبين لنا فيها من تناقض ومفارقات بأكثر من مثال بسيط يتضح منه كيف أثر الإسلام في شعر شاعر من الشعراء المخضرمين عاصر الجاهلية وعصر النبوة وامتد به العمر بعد ذلك . . . وقال الشعر في هذه الأدوار جميعاً حتى حالت به الشيخوخة التي تحول بين المرء وبين أكثر أمور الحياة ولا تجعله يرتبط بها إلا من خلال خيط واهن هزيل . ومع هذا ، فقد بلغ ضعف تأثير الإسلام فيه عند النقاد مبلغ من كف عن قول الشعر وانصرف عنه حتى لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً ، فذهبت مثلا ، وسارت به الركبان ورددته الباحثون ، تحت تأثير هذه الفكرة الواهمة التي بدلت الحقيقة تبديلا ، وبلغت في نظرتها إلى إضعاف الإسلام للشعر إلى هذا المدى ، وقد روى أن (لبيداً) قال (قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه فبلغ به ألفين) .

---

(١) راجع (شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري) — تحقيق د . إحسان عباس — ص — ٢٧ — ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ (الكويت / ١٩٦٢) .